

الأفعال الكلامية دراسة لغوية في نماذج من خطب عصر بني أمية السياسية

المؤلف

إيمان محمد الجمل

معيدة بقسم اللغة العربية - كلية البنات - جامعة عين شمس

المستخلص

إن التداولية تهتم بدراسة اللغة في الاستعمال، من خلال الطبقات المقامية التي ينجز فيها الخطاب، ومن أهم المفاهيم التداولية على الإطلاق، مفهوم الأفعال الكلامية التي تعد النواة المركزية لكثير من البحوث التداولية، حيث تهتم الأفعال الكلامية بما يفعله المتكلمون باللغة من إنجاز وتأثير وتبليغ ومراعاة سياق الحال والغرض الذي يريده المتكلم من كلامه، وكذلك الفائدة التي يجنيها المخاطب من الخطاب، كذلك وعي العرب القدامى بمفهوم الأفعال الكلامية وضمنوها أبحاثهم من خلال نظرية الخبر والإنشاء.

Abstract:

The pragmatic is concerned with the study of language in use, through the caste classes in which the discourse is performed. One of the most important pragmatic concepts at all is the concept of verbal acts which is considered as the central nucleus of many pragmatic research. The verbal acts are concerned with what the speakers do with the language such as Achievement, impact, reporting, taking into account the context of the case and the purpose of the speaker's speech, as well as the benefit derived from the address of the speech, as well as the awareness of the old Arabs of the concept of verbal acts and integrated them in their research through the theory of statement and structure.

النص الكامل

مقدمة

إن المتتبع للدراسات اللغوية من مهدها الأول مروراً بالعصر الحديث ثم المعاصر ، سيجد أن هناك طفرات كثيرة قد حدثت، فمحال أن نجد عالماً أتى بدراسة أو نظرية استطاع أن يسد بها حاجة الدرس اللغوي من جميع مناحيها، فكل دراسة إنما هي مكملة لسابقتها ومضيفة عليها ، ومن الدراسات التي أعتد بها في الدرس اللغوي المعاصر (التداولية). وقد تقدمت التداولية ساحة الدراسات اللغوية؛ لأنها أوجدت حلاً للمسائل اللغوية التي عجزت النظريات الأخرى عن حلها، فاهتمت بالعملية التواصلية والاستعمالات المختلفة والسياقات، والملقي والمتلقي، ويندرج تحت الدرس التداولي عدد لا بأس به من المفاهيم، كأفعال الكلامية والاستلزام الحوارية والافتراض المسبق والإشاريات، وغيرها من المفاهيم الأخرى، ويعد أبرز هذه المفاهيم على الإطلاق مفهوم الأفعال الكلامية؛ إذ يعد النواة أو البؤرة الرئيسة في كثير من الأعمال التداولية.

وقد تناولت في هذا البحث مقدمة عرضت فيها الدراسات السابقة، ثم المبحث الأول وهو وعي علماء العرب القدامى بمفهوم الأفعال الكلامية ، وفي المبحث الثاني دراسة مفهوم الأفعال الكلامية في البحث اللغوي الغربي ، ثم المبحث الثالث قمت بعمل دراسة تطبيقية عن طريق تخير مجموعة من الخطب السياسية في العصر الأموي، ثم خاتمة لهذا البحث بها أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

وتعد الأفعال الكلامية واحدة من أهم مجالات الدرس التداولي، كما أنها تحتل النصيب الأكبر لدى الباحثين الدارسين للتداولية، هذا ويعد أوستين – الفيلسوف الذي اعتنى بدراسة اللغة الطبيعية والذي كان متأثراً بما جاء به فنجنشتاين- هو مؤسس الأفعال الكلامية، حيث "أنكر أوستين أن تقتصر وظيفة اللغة على وصف وقائع العالم وصفاً يكون إما صادقاً وإما كاذباً وأطلق عليه المغالطة الوصفية، كأن يقول رجل لامرأته : أنت طالق، فإن النطق بهذا لا ينشئ قولاً، بل يؤدي فعلاً، فهي أفعال كلام، أو هي أفعال كلامية"^(١)

ومن العلماء من يعدها نظرية مستقلة. وقد تعددت مسمياتها نقلاً عن الترجمات والدراسات المختلفة، فأحياناً نجدها موسومة (بنظرية الأعمال اللغوية)^(٢)، وسميت أيضاً (تداولية الدرجة الثالثة)^(٣)، ومنهم من سماها (الأفعال الإنجازية)^(٤) والأفعال الكلامية على اختلاف مسمياتها في الكتب والدراسات المتعددة، إلا أنه ليس هناك خلاف على أن الفيلسوف اللغوي البريطاني " أوستين" الرائد الأول للأفعال الكلامية، وإن كان اكتشافه لها لم يأت بالطريق المباشر فقد كانت هناك مراحل، ودراسات سابقة، أدت إلى ظهورها بالشكل الذي هي عليه الآن، فكانت نشأتها الأولى فلسفية.

❖ الدراسات السابقة:

- ١- الأفعال الكلامية في القرآن (مقاربة تداولية)- بوفرمة حكيمة- بحث في دورية الخطاب- جامعة مولود معمري- الجزائر، دار الأمل للطباعة والنشر- العدد الثالث ٢٠٠٨م.
- ٢- الأفعال الكلامية في سورة الكهف (دراسة تداولية)- رسالة ماجستير، أمانة لعور- جامعة منتوري- قسنطينة- الجزائر ٢٠١١.
- ٣- الأفعال الكلامية في الخطاب النبوي(دراسة نحوية اتصالية- الأربعون النووية (نموذجاً)- رسالة دكتوراه- مروة محمد محمد النشمي، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة ٢٠١٦.

المبحث الأول: (الأفعال الكلامية في الفكر اللغوي العربي)

إن المتمعن في مؤلفات العرب الأوائل والمدقق في قراءة نصوص تلك المؤلفات؛ سيجد أن هذه النصوص تحمل بين طياتها الكثير من العلوم كالنحو والفقه والبلاغة والمنطق وغيرها، فالمؤلف الواحد يتسم بالموسوعية، ودراسة المؤلفات الأولى بشكل واع غير متعسف سيجعلنا نؤصل الكثير من النظريات والدراسات التي خرج بها الغرب أمس واليوم، والأبحاث التي جاء بها علماء الغرب قد ضمنها العرب كتبهم ولكنهم لم يفصلوا فيها القول، أو يدرسوها بشكل مستقل.

وإذا بحثنا عن الأفعال الكلامية كمفهوم تداولي في التراث العربي سنجد له جذوراً، وفي هذا الصدد يقول الدكتور محمود نحلة:" وهذه الأبحاث ليست منبئة الصلة عن التراث اللغوي العربي بل تقف منه على أرض ثابتة مفضلة أن تقرأه قراءة معاصرة تفيد من اتجاهات الدرس الحديث، ومناهجه وطرائقه في رصد الظواهر اللغوية ومعالجتها على نحو مضبوط، يمكنها من الكشف عن ملامح نظريات عربية الوجه واللسان موازية لنظريات غربية معاصرة، أو عن ظواهر لم يعرض لها علماء العربية القدماء، ومن صدر عن منهجهم من المحدثين، أو عرضوا لها ولم يوفوها حقها من البحث الكاشف بها والمحيط بها، تجديداً للنظر في هذا التراث اللغوي القديم،

^١ - آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢، ص ٢٣.

^٢ - كما ورد ذلك في كتاب/ التداولية اليوم علم جديد في التواصل، أن ريبولو جالك موشلار، ترجمة د/ سيف الدين دغفوس وآخرون، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ٢٠٠٣، ط١، ص ٣٣.

^٣ - انظر كتاب/ المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، تر/ سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، ص ٦٠.

^٤ - ورد هذا المصطلح في كتاب / في البرجماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، علي محمود حجي الصراف، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٠، ط١.

وكشفًا عن كنوزه المخبوءة، وبيئًا لعناصر القوة فيه، واصطلاحًا لما قد يكون فيه من جوانب النقص والقصور"^(٥)

فالبحث التداولي وما يندرج تحته من مفاهيم، ليس منقطع الصلة عن التراث العربي، بل إنه وجد في ثنايا كتب العرب الأوائل، ولكنه لم يدرس بشكل مفصل أو مستقل، وبالتالي لم يأخذ حقه من البحث والدراسة.

والأفعال الكلامية قد وجدت في التراث العربي ضمن (نظرية الخبر والإنشاء) "وعليه فإن ظاهرة الأفعال الكلامية قد بحثت في تراثنا من قبل طوائف متعددة، غير أن البحث فيها في تضاعيف هذا التراث الضخم، لم يكن مقصوداً دائماً لذاته، ولكن كثيراً ما قصد به غيره، فاتخذت الظاهرة من ثم وسيلة لا غاية، وجعلت مدخلاً لفهم علوم أخرى"^(٦)

وخلاصة ما قيل في كون الأفعال الكلامية من كون أصولها عربية، نجد بالفعل أن لها جذورا في كتب القدماء، ولكن لم يستو المفهوم على سوقه كما ظهر حديثاً؛ لأن العرب لم يوجهوا عنايتهم لدراسة الأساليب في حد ذاتها دراسة مستقلة، بل إنهم كانوا يدرسونها لتفسير ظواهر أخرى، فلو كانوا أولوها اهتمامهم، وتناولوها بالبحث المستفيض، ما استطاع قائل أن يقول إن أصول الأفعال الكلامية غريبة.

وفي التراث العربي نجد أن مفهوم الأفعال الكلامية يندرج ضمن مباحث علم المعاني، الذي من خلاله يتم اختيار التراكيب اللغوية المناسبة لموقف ما فيتم مراعاة أحوال المتكلمين، ومن خلال علم المعاني يتم إرشاد المتكلمين إلى جعل الصورة اللفظية أقرب ما تكون دلالة على الفكرة التي تخطر في أذهان المتلقين، وأنه على المتكلم أن يجعل لكل مقام مقال، فعلم المعاني هو: "تتبع خواص تراكيب الكلام، في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"^(٧)

ويوضح السكاكي معنى التعريف الذي وضعه في تعريف علم المعاني، فبين أن المقصود من "خاصية التركيب" بأنها ما يسبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التركيب جاريًا مجرى اللزوم له، لكونه صادرا من البليغ، لا لنفس ذلك التركيب من حيث هو هو، أو لازما له لما هو هو حينها^(٨)، ثم يستطرد السكاكي في شرح التعريف، ويوضح أن الفهم هو ما يتبادر إلى الذهن؛ أي ذهن السامع عندما يسمع كلاما مثل عبارة: "زيد منطلق" "زيد يأكل" فالقصد هنا هو الإخبار عن حالة زيد مثلا فيقول: "وأعني بالفهم، فهم ذي الفطرة السليمة، مثل ما يسبق عن فهمك من تركيب: "إن زيدا منطلق" إذا سمعته عن العارف بصياغة الكلام، من أن يكون مقصودا به نفي الشك، أو رد الإنكار، أو من تركيب "زيد منطلق" من أنه يلزم مجرد القصد إلى الإخبار أو من نحو منطلق بترك المسند إليه، من أنه يلزم أن يكون المطلوب به وجه الاختصار مع إفادة لطيفة مما يلوح بها مقامها"^(٩)

ومقصد الكلام أن التراكيب تختلف معناها على حسب السياقات المختلفة التي ترد فيها، وعلم المعاني عند السكاكي يهتم ويركز على التراكيب التي لها دلالات مفيدة، سواء أكانت واضحة وجلية أم ضمنية ومستلزمة عن المعاني الحرفية، وكل ذلك يفهم من المقام، وبحسب مقاصد المتكلمين، وهذا ما تقوم عليه التداوليات الحديثة.

فدراسة نظرية الخبر والإنشاء عند العرب؛ تتبين الأدوات المنهجية لدراستهم مفهوم الأفعال الكلامية، التي تندرج ضمن مباحث علم المعاني، فعلماء التراث من نحاة وبلاغيين

^٥ - آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ٥.

^٦ - التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث العربي، مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت- لبنان، ط ١، ٢٠٠٥، ص ٧-٨.

^٧ - مفتاح العلوم، للإمام سراج الملة والدين أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، ت (٦٢٦)، ضبط هوامشه نعيم زرور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ٢، ١٩٨٧، ص ١٦١.

^٨ - المرجع السابق، ص ١٦٢.

^٩ - المرجع السابق، نفس الصفحة.

وأصول قد وجهوا عنايتهم وجل اهتمامهم إلى التفريق بين الجمل الخبرية والإنشائية، ولكنهم اختلفوا فيما بينهم في التمييز بين الخبر والإنشاء

ومن الكتب المهمة التي رجعت إليها وتبين من خلال موضوعاته تضمنه لمفهوم الأفعال الكلامية، هو (كتاب الصاحبى في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها) حيث إن الكلام قد يخرج عن معناه الأصلي ليتضمن معنى آخر إضافي، أى أن الألفاظ تحمل أكثر من معنى، فالمعنى الأول أو الظاهر هو ما سماه (أوستين) رائد الأفعال الكلامية بالفعل اللفظي، والمعنى الآخر الذي يكمن خلف المعنى الأصلي هو ما عرف عند (أوستين) بالفعل الإنجازي، فالأفعال الكلامية تعرف بأنها: " كل ملفوظ ينهض على شكل دلالي إنجازي تأثيري" ^(١٠) ومن قضايا علم المعاني التي يخرج فيها اللفظ عن معناه الأول ويتضمن معاني أخرى، الخبر والإنشاء

ولقد وعى ابن فارس كما وعى غيره من فحول كتاب، ومؤلفى التراث العربى بما جاء به المحدثون حينما تكلم عن (معانى الكلام) ^(١١) ومن معانى الكلام التي ذكرها، وخرج فيها اللفظ عن ظاهره إلى معانٍ أخرى: **الخبر، والاستخبار.**

أولاً: الخبر:

فالخبر عنده: "ما جاز تصديق قائله، أو تكذيبه، وهو إفادة المخاطب أمراً فى ماضٍ من زمان، أو مستقبل، أو دائم، نحو قولك: (قام زيد) و(يقوم زيد) و(قائم زيد)، ثم يكون واجباً، وجائزاً، وممتنعاً، فالواجب قولنا: (النار محرقة)، والجائز قولنا: (لقى زيد عمراً)، والممتنع قولنا: (حملت الجبل)" ^(١٢) ومن هذا الحد للخبر عند ابن فارس يتضح، أن المعنى الظاهر عنده هو جواز تصديق الخبر أو تكذيبه، دون أن يحترز شيئاً فلم يقرن صدق الخبر بصدقه فى الواقع أو حتى على حسب اعتقاد المتكلم بصدقه، أو عدمه، وكذلك فى الخبر الكاذب، وقسمه لواجب وهو ما لا يستطيع عاقل أن يشك فيه أو يكذبه، مثل: (الشمس تشرق من المشرق) وهى ظاهرة كونية وحقيقة لا يستطيع أحد أن يكذبها، وجائز، والجائز عنده: هو ما يجوز قبوله وتصديقه، مثل: (قابل محمد علياً)، أما الخبر الممتنع عنده: هو مستحيل الحدوث لأنه مخالف للواقع ولا يقر به العقل، مثل: (حمل الرجل فى بطنه طفلاً)

- **خروج الخبر عن ظاهر لفظه وتضمنه لمعاني مستلزمة فى (كتاب : الصاحبى لابن فارس) ومن هذه المعانى:**

وللخبر معانٍ أخرى يخرج بها عن ظاهر لفظه، وذكرها ابن فارس فى الصاحبى، ومنها:

١- **التعجب :** نحو(ما أحسن زيدا) فالمعنى اللفظى الظاهر –وذلك على حسب المذهب الذى ذهب إليه ابن فارس فى تعريفه للخبر- أنه خبر جائز التصديق، وما يستلزم عنه هذا المعنى، التعجب، وقرينة الحال فى هذه الجملة هى صيغة التعجب (ما أفعل).

٢- **التمنى:** مثل (وددتك عندنا) فالمعنى الظاهر، هو جواز تصديق الخبر، أما المعنى المستلزم هو التمنى .

٣- **الإنكار:** مثل (ما له على حق) خبر يجوز فيه التصديق، أو التكذيب، أما المعنى الخفى هو أن المخبر يريد أن ينكر على أحد ما المطالبة بحق ما.

٤- **النفى:** مثل: (لا بأس عليك)

٥- **الأمر :** يخرج الخبر عن ظاهره؛ ليستلزم معنى الأمر، كما فى قوله تعالى :

^{١٠} - التداولية عند العلماء العرب، ص ٤٠.

^{١١} - ذكر ابن فارس أن معانى الكلام عند بعض أهل العلم عشرة هى: خبر، واستخبار، وأمر، ونهى، ودعاء، وطلب، وعرض، وتحضيض، وتمنى، وتعجب. انظر الصاحبى فى فقه اللغة، ص ١٣٣.

^{١٢} - الصاحبى فى فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب فى كلامها، للإمام أبى الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، علق عليه/ أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٧، ص ١.

" أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ " (١٣)

فظاهر الخبر هنا في الآية الكريمة يحمل معنى التصديق؛ لأنه قول العلي القدير، وكلام المولى تعالى واجب التصديق، والخبر هنا يتضمن ويستلزم معنى الأمر " فهذا أمر من الله عز وجل للمطلقات المدخول بهن من ذوات الأقران " (١٤)

٦- النهي: قد يستلزم عن الخبر معنى النهي كما في قوله تعالى:

" لا يمسسه إلا المطهرون " (١٥) النهي في الآية الكريمة طلب جاء على صيغة الخبر، وما جاء في تفسير الآية الكريمة، يفيد أيضا معنى النهي: " قيل: المقصود به الكتاب الذي في السماء، وقيل: لا يمسسه عند الله إلا المطهرون، فأما في الدنيا، فإنه يمسسه المجوس النجس، والمنافق الرجس، وقيل أيضا: أن الذي لا يمسسه أصحاب الذنوب، وقيل: المطهرون من الجنابة والحدث، والمراد بالقرآن ها هنا المصنف الشريف، وقيل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو؛ مخافة أن يناله العدو " (١٦).

وبقى لنا أن نثبت إدراكه التام لخروج ألفاظ أخرى عن معناها؛ كي لا ينكر جاحد أو مدع على علماء العربية عدم معرفتهم بما وصل إليه المحدثون، فهذا محض افتراء، وما يزيدنا تأكيدا بوعى اللغوى ابن فارس بالأفعال الكلامية هو: ما ذكره عن الاستخبار، وكذلك الأمر

٢- ثانيا الاستخبار: المقصود به الاستفهام، فقد عرفه بقوله: " الاستخبار طلب خبر ما ليس عند المستخبر، وهو الاستفهام " (١٧)

ومعنى ذلك أن الاستخبار هو طلب العلم بالشئ، وهنا يقصد به المعنى الظاهر للألفاظ، وذكر ابن فارس أن الخبر قد يخرج عن معناه الظاهر ويتضمن معاني أخرى ومنها:

- خروج الاستخبار عن ظاهر لفظه، وتضمنه معاني أخرى في كتاب (الصاحبي : لابن فارس)، ومنها:

١- التعجب : مثل قوله تعالى: "فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ" (١٨)

والمعنى الظاهر لقول الله تعالى: قصد به الاستخبار، وطلب العلم عن أصحاب الميمنة، وهم صنف من الأصناف الثلاثة، الذين أجملهم الله تعالى في قوله: " وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً " (١٩)، ثم فصل القول، وقال تعالى: "فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ" (٢٠) والمعنى الظاهر الذي يستخبر عنه كما ورد في التفسير - والله أعلم- " أصحاب الميمنة: هم الذين خرجوا من شق آدم الأيمن، ويؤتون كتبهم بأيمانهم، وقيل: هم جمهور أهل الجنة، وأصحاب المشأمة: هم الذين خرجوا من شق آدم الأيسر، ويؤتون كتبهم بشمائهم، وهم جمهور أهل النار- نعوذ بالله من صنيعهم- " (٢١)

١٣ - البقرة، الآية: ٢٢٨.

١٤ - تفسير القرآن العظيم، للحافظ أبي الفداء إسماعيل عمرين كثير القرشي الدمشقي، تحقيق / سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للمشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٩، ج١، ص٦٠٦.

١٥ - الواقعة، الآية: ٧٩.

١٦ - تفسير القرآن العظيم، ج٧، ص٤٤٤، ٤٤٥.

١٧ - الصاحبي في فقه اللغة، ص١٣٤.

١٨ - الواقعة، آية: ٨.

١٩ - الواقعة، آية: ٨.

٢٠ - الواقعة، الآيات من ٨: ١٠.

٢١ - تفسير القرآن العظيم، ج٧، ص٥١٥.

أما المعنى المستلزم لقول الله عز وجل، هو: التعجب ودل عليه قرينة (ما أفعال التعجبية).
٢- **التفخيم:** وذلك كما في قول الله تعالى: " مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ " (٢٢)

فالغرض المستلزم عن قول الله: - والله أعلم- التفخيم، أى: تفخيم أنواع العذاب والقرينة التي تفيد ذلك، لفظة (منه) وفيها الهاء ضمير يحيل على العذاب، والمراد أى نوع من أنواع العذاب تستعجلون؟

٣- **التوبيخ:** قد يستلزم عن الاستخبار معنى التوبيخ، كما في قول العلي القدير: "أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا " (٢٣)

فالمعنى المستلزم عن قول العلي القدير، هو التقرير والتوبيخ لهؤلاء الكافرين.

٤- **التفجع:** مثل قول الله عز وجل: " أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ " (٢٤) خرج الاستفهام عن دلالة الطلب، واستلزم دلالة أخرى، وهى التفجع، والهول مما سيلحق بالكافرين من عذاب؛ نتيجة ذنوبهم، فكتبهم أحصت لهم كل ذنب صغير وكبير، وكل عمل مهما صغر.

٥- **التبكي:** مثل قول الله عز وجل: " أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ " (٢٥) هذا خطاب من رب العالمين لنبى الله عيسى عليه السلام، خرج فيه الاستخبار عن معنى الطلب، للتبكي والتقرير، والتهديد لمن اتخذ عيسى عليه السلام، وأمه السيدة مريم إلهين من دون الله عز وجل، وما جاء فى تفسير الآية الكريمة، يؤكد هذا المعنى، والله أعلم: " هذا مما يخاطب الله تعالى عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام، قائلاً له يوم القيامة بحضرة من اتخذه وأمه إلهين من دون الله، وهذا تهديد وتوبيخ وتقرير على رؤوس الأشهاد".^{٢٦}

٦- **التقرير:** معنى آخر من المعانى التي قد تستلزم عن الاستخبار، ومثله ما جاء فى قول الله تعالى: " وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ " (٢٧) ورد هذا الاستخبار فى سياق قول الله تعالى: " قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ " (٢٨) ويفيد معنى التقرير " فى الآية الكريمة: يخبر الله تعالى أنه استخرج ذرية آدم من أصلابهم، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم، ومليكمهم، وأنه لا إله إلا هو، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك، وجبلهم عليه".^{٢٩}

فإنه عز وجل يشهدهم، وهم يقرون بذلك، وقرينة الحال هى كلمة (بلى).

٢٢ - يونس، الآية: ٥٠.

٢٣ - الأحقاف، الآية: ٢٠.

٢٤ - الكهف، آية: ٤٩.

٢٥ - المائدة، آية: ١١٦.

٢٦ - تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٢٣٢.

٢٧ - الأعراف، آية: ١٧٢.

٢٨ - الأعراف، آية: ١٧٢.

٢٩ - تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٥٠٠.

٧- التسوية: مثلما جاء في قوله تعالى: "وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ" ^{٣٠} فهمة الاستفهام خرجت من معنى الطلب لمعنى آخر متضمن في الطلب، وهو معنى التسوية، فالكافرون الجاحدون الأمر عندهم سواء، فهم سيظلون على كفرهم سواء بإنذار، أو دون إنذار.

٨- الاسترشاد: جاء الاستفهام متضمناً معنى الاسترشاد، كما في قول العلي القدير: "وَكَمْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ" ^{٣١} وما جاء في تفسير قول الله تعالى في الآية السابقة يؤيد هذا المعنى السابق " فقد ورد أن الله عز وجل أعلم ملائكته الكرام، أنه كان في الأرض خلق أفسدوا فيها، وسفكوا الدماء" ^{٣٢}

والمعاني السالفة الذكر نوع من الأمثلة التي ذكرها ابن فارس في كتابه الصحابي، استدل بها على خروج الاستخبار عن معناه الأصلي ليتضمن معان أخرى، أما في هذا الموضوع من هذا البحث إثبات وعي علماء العرب القدامى بالنظريات الحديثة.

المبحث الثاني: الأفعال الكلامية من المنظور اللغوي الغربي

إن الأفعال الكلامية في الدراسات الغربية، نجدها مرت بمرحلتين، المرحلة الأولى هي مرحلة التأسيس والنشأة عند " أوستين " والمرحلة الثانية هي مرحلة النضج والاكتمال، ويعود الفضل فيها " لسيرل " تلميذ " أوستين ".

١/ مرحلة التأسيس والنشأة

للدروس التداولية مصادر عديدة، فلكل مفهوم من مفاهيم التداولية المختلفة حقل معرفي استمد منه مادته العلمية، والأفعال الكلامية جذورها الأولى فلسفية، فقد انبثقت من مناخ فلسفي هو الفلسفة التحليلية.

والفلاسفة المعنيون باللغة أمثال " رسل وفتجنشتاين " هما اللذان أثرا في أوستين، بسبب المبادئ التي تبناها، " حيث كانوا يسعون لإيجاد لغة مثالية تتجنب كل عيوب اللغة العادية، فتكون أكثر ملاءمة للفكر الفلسفي " ^(٣٣).

وسبب بحث هؤلاء الفلاسفة عن لغة تناسب فكرهم الفلسفي، أن اللغة ليست وصفية تقريرية فحسب، تستخدم لوصف وقائع العالم وصفاً إما يكون الحكم عليه بالصدق أو الكذب، فاللغة تتعدد وظائفها وخصائصها، وكذلك تتعدد معانيها بحسب السياقات المختلفة التي ترد فيها. وكان فلاسفة الوضعية المنطقية يرون اللغة وسيلة لوصف الوقائع الموجودة في العالم الخارجي بعبارة إخبارية ثم يكون الحكم بعد ذلك على هذه العبارات بالصدق إن طبقت الواقع وبالكذب إن لم تطابقه.

وهذا ما رفضه أوستين في قصر اللغة على مثل هذه العبارات الإخبارية " أما الفلاسفة فلطالما توهموا حينما افترضوا أن شأن الحكم في القضية إما أن يصف حالة شيء ما، وإما أن يثبت واقعة عينية، مما يعني أن الحكم القضية إما أن يكون صادقاً أو كاذباً" ^(٣٤).

وما قدمه أوستين لنظرية الأفعال الكلامية يتضح من خلال تمييزه بين نوعين من الأفعال التي رفض أن تكون اللغة مقصورة عليها، وهي:

(أ)- أفعال إخبارية: وهي أفعال تصف وقائع العالم الخارجي، وتكون صادقة أو كاذبة.

^{٣٠} - البقرة، آية: ٦.

^{٣١} - البقرة، آية: ٢٧.

^{٣٢} - تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٢١٩.

^{٣٣} - آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، ص ٤٣.

^{٣٤} - نظرية أفعال الكلام العامة، أوستين، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، ص ١٣.

(ب)- أفعال أدائية: تنجز بها في ظروف ملائمة أو تؤدي، ولا توصف بصدق ولا كذب، بل تكون موفقة أو غير موفقة، ويدخل فيها التسمية والوصية، والاعتذار، والرهان، والنصح، والوعد^(٣٥).

والأفعال الأدائية عند أوستين لها شروط هي:

١/ شروط الملاءمة : وهذه الشروط إذا تحققت أدت إلى نجاح الفعل الأدائي وإذا لم تتحقق أدت إلى إخفاقه.

٢/ شروط قياسية: وليست لازمة لأداء الفعل ولكنها لازمة لأدائه أداءً موفقاً غير معيب، وإذا لم تتحقق، كان في ذلك إساءة أداء للفعل.

إن تقسيم أوستين الأفعال إلى إخبارية وأدائية، ووضع شروط لهذه الأفعال، أمر غير حاسم، لأن كثيراً من الأفعال الإخبارية تخرج من دائرة الإخبار إلى الأداء، وإن الكثير من الأفعال الأدائية التي تنطبق عليها الشروط التي وصفها تكون غير أدائية، " وهذا ما جعل أوستين ينتقل إلى مرحلة ركز فيها بشكل دقيق على المقصود من القول، فحين أتلفظ بكلام ما أنجز فعلاً معيناً، ومن ثم فإن المتلفظ بأية جملة تنتمي إلى لغة طبيعية معينة يقوم بأصناف ثلاثة من الأفعال اللغوية"^(٣٦).

١/ الفعل اللفظي أو فعل القول:

وهو يتألف من أصوات لغوية تنتظم في تركيب نحوي صحيح ينتج عنه معنى محدد، وهو المعنى الأصلي، وله مرجع يحيل إليه.

٢/ الفعل الإنجازي: وهو ما يؤديه الفعل اللفظي من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي.

٣/ الفعل التأثيري: ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع^(٣٧).

إن الفعل الأساسي الذي لا يتم الكلام إلا به هو الفعل اللفظي، أو المعنى الأول ففعل القول يرتبط بصميم اللغة، والفعل الإنجازي هو أهم الأفعال عنده فهو أساس نظرية الأفعال الكلامية، وأسباب تسمية بعض الدراسات لنظرية الأفعال الكلامية بالنظرية الإنجازية لتركيز أوستين على الفعل الإنجازي دون غيره من الأفعال اللغوية والتأثيرية.

❖ وقدّم أوستين تصنيفاً آخر للأفعال يشتمل على خمسة أصناف هي:

١/ الحكيمية: وتقوم على الإعلان عن حكم تأسيس على بدهاة، أو أسباب وجيهة تتعلق بقيمة أو حدث، مثل إخلاء الذمة، مثل وصف، قدر، صنف.

٢/ التمرسية: وتقوم على إصدار قرار فيه صالح للمتكلم، مثل أمر، قاد، ترحي، طلب.

٣/ التكليف: ويلزم المتكلم بأفعال محددة مثل وعد، تمنى، أقسم.

٤/ العرضية: وتستعمل لعرض مفاهيم، وبسط موضوع، وتوضيح استعمال كلمات مثل أكد وأنكر، وأجاب، ووهب.

٤/ السلوكيات: ويتعلق الأمر بردود أفعال تجاه سلوك الآخرين، وتجاه الأحداث المرتبطة بهم، مثل الاعتذار، والشكر، والتعزية، والمباركة^(٣٨).

هذا يعد خلاصة ما توصل إليه أوستين في نظرية الأفعال الكلامية، وعلى الرغم من أنه غير كاف لوضع أسس لنظرية متكاملة، إلا أنه جهد مشكور لعالم أتى بعده تلاميذه ليكملوا من

٣٥ - آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ٤٥، بتصرف.

٣٦ - الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين

الضابطة لها، العياشي أدراوي، دار الأمان، الرباط، ط ١، ٢٠١١، ص ٨٥.

٣٧ - آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص ٤٧.

٣٨ - المقاربة، فرانسوا أمرينكو، ترجمة سعيد علوش، ص ٦٢.

حيث انتهى، حيث انطلق سيرل لوضع الأسس المنهجية والمعايير التي اكتملت بها نظرية الأفعال الكلامية واستوت على سوقها كما هي في الدرس اللغوى المعاصر.

٢/ مرحلة النضج والاكتمال عند سيرل

إن ما جاء به أوستين من دراسات حول الأفعال الكلامية، لم يكن كافياً لبناء نظرية كاملة، حيث إنه لم يبين ما جاء به على أصول وقواعد واضحة، فاختلفت عنده الأمور، ولم يكن راضياً عن تقسيماته للفعل الكلامي، وهذه هي البدايات دائماً قد يصيبها القصور والنقص في بعض الجوانب.

وتعد دراسة سيرل للأفعال الكلامية أكثر دقة، وذلك نظراً لما أسهم به، من إضافات وتعديلات تتمثل فيما يأتي:

أ/ إن أول ما فعله سيرل : تحليل الفعل الكلامي إلى قوة متضمنة في القول، ومحتوى قضوى^(٣٩)، وهذا ما تميز به عن أوستين الذي فصل فعل القول عن الفعل المتضمن في القول، حيث يرى سيرل أن فعل القول مغاير للمحتوى القضوى ففصلها ضرورة، وأصبح الفعل الكلامي عبارة عن أربعة أفعال، أبقى على اثنين مما جاء به أوستين وهما (الفعل التأثيرى، والفعل الإنجازى) وأضاف سيرل فعلين هما فعل القول، والفعل القضوى، والأخير لا ينفصل عن فعل القول بما يأتى معه في تركيب واحد، وهو يشمل المتحدث عنه، أو المرجع، والمتحدث به، أو الخبير^(٤٠).

ب/ الفعل الكلامي عند سيرل غير مقصور على مراد المتكلم بل يعد أوسع من ذلك بكثير، فهو عند سيرل مرتبط أيضاً بالعرف اللغوى والاجتماعى.

ج/ جعل سيرل شروط الملاءمة أربعة إذا تحققت هذه الشروط كان الفعل الكلامي موفقاً وقام سيرل بتطبيق هذه الشروط مجموعة من الأفعال، منها أفعال الرجاء، والإخبار، والتهنئة والاستفهام، والشكر، و من هذه الشروط:

١- شروط المحتوى القضوى

٢- الشرط التمهيدى

٣- شرط الإخلاص

٤- الشرط الأساسى^(٤١).

د/ أعاد سيرل النظر في تصنيف أوستين للأفعال الكلامية، وقد جعلها سيرل خمسة أصناف منها:

١- الإخباريات:

غرضها الإنجازى هو نقل المتكلم واقعة من خلال قضية يعبر بها عن هذه الواقعة، وأفعال هذا الصنف تحتمل الصدق والكذب، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم، ويتضمن هذا الصنف معظم أفعال الإيضاح عند أوستين^(٤٢).

٢- التوجيهات (الأمرىات أو الطلبيات)

وغرضها الإنجازى محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشروط الإخلاص فيها يتمثل في الإرادة أو الرغبة الصادقة، والمحتوى القضوى فيها دائماً فعل السامع شيئاً في المستقبل ويدخل في هذا الصنف الاستفهام، والأمر،

^{٣٩} - نظرية أفعال الكلام بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، نظرية أفعال الكلام بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، طالب سيد الطبطبائي، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٤، ص ١٣، بتصرف.

^{٤٠} - آفاق جديدة في البحث اللغوى المعاصر، مرجع سابق، ص ٧٤.

^{٤١} - المرجع السابق، ص ٧٦ - ٨٠.

^{٤٢} - المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ص ٣٠.

والرجاء والاستعطاف، والتشجيع وكثيراً من أفعال القرارات عند أوستين تدخل في هذا الصنف^(٤٣).

٣- الوعديات (الالتزاميات)

وغيرها الإنجازي هو التزام المتكلم بفعل شيء ما في المستقبل، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص هو القصد، والمحتوى القضي فيهما دائماً فعل المتكلم شيئاً في المستقبل، والمسئول عن إحداث المطابقة هو المتكلم، والشروط المعدة هو قدرة المتكلم على أداء ما يلزم به نفسه^(٤٤).

٤- التعبيريات:

وغيرها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النفسي، حيال الواقعة التي تعبر عنها القضية، وليس لهذا الصنف اتجاه مطابقة، فالمتكلم لا يحاول أن يجعل الكلمات تطابق العالم الخارجي، ولا العالم الخارجي يطابق الكلمات، وكل ما هو مطلوب الإخلاص في التعبير عن القضية، ويدخل في هذا الصنف أفعال الشكر، والتهنئة، والاعتذار، والتعزية، والترحيب^(٤٥).

٥- الإعلانات

والغرض منها إحداث تغيير في العالم، بحيث يطابق العالم المحتوى القضي بمجرد الإنشاء الناجح لفعل الكلام، فإذا أدبت فعل إعلان الحرب أداء ناجحاً فالحرب معلنة، وأهم ما يميز هذا الصنف أنها تحدث تغييراً في الوضع القائم فضلاً عن أنها تقضي عرفاً غير لغوي، واتجاه المطابقة فيه قد يكون من الكلمات إلى العالم، ومن العالم إلى الكلمات، وهذا ما يسميه سيرل الاتجاه المزدوج^(٤٦).

❖ التمييز بين الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة

في الأشياء المهمة في مرحلة النضج والاكتمال، والتي لا بد من الإشارة إليها تمييز سيرل بين الأفعال الإنجازية المباشرة، وغير المباشرة.

إن تمييز سيرل بين الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة، مرحلة تالية لما جاء به أستاذه أوستين والذي قسم الفعل إلى صريح وأولي حين قال في محاضراته:

"فلتسمحوا لي بأن أتوقف لحظة حتى نمعن النظر قليلاً في هذا التركيب "الصيغة الإنشائية الصريحة، لمقابلته بتركيب آخر، وهو الصيغة الإنشائية الأصلية أو الأولية مثل قولنا (سأكون هناك)، والصيغة الإنشائية الصريحة مثل: (أعدك بأنني سأكون هناك)، يمكن ملاحظة أن المثال الأول يستوعب أكثر من احتمال حول دلالاته، والمثال الثاني صريح في دلالاته على الوعد، مع ضعف قبول احتماله لدلالات أخرى^(٤٧).

من خلال كلام أوستين نفسه يلاحظ أن الفعل المباشر عنده هو الفعل الذي ليس له إلا دلالة واحدة ودلالاته على الشيء صريحة ومباشرة، في المقابل يكون الفعل غير المباشر، هو الذي يحتمل في مضمونه أكثر من معنى.

إن الأمر مختلف عند سيرل، حيث إن الأفعال الإنجازية المباشرة عنده "هي التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم، فيكون معنى ما ينطقه مطابقاً تامة وحرفية لما يريد أن يقول، وهو

٤٣ - آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ٨٢.

٤٤ - نظرية أفعال الكلام بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ص ٣٠.

٤٥ - آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص ٨٣.

٤٦ - نظرية أفعال الكلام بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ص ٣١.

٤٧ - نظرية أفعال الكلام العام، جون أوستين، ص ١١٠.

يتمثل في معاني الكلمات التي تتكون منها الجملة، وقواعد التأليف التي تنتظم بها الكلمات في الجملة، ويستطيع السامع أن يصل إلى مراد المتكلم بإدراكه لهذين العنصرين معاً^(٤٨).

ومعنى ذلك أن يكون الكلام واضحاً ووضوحاً تاماً ولا يحتمل أي معانٍ إضافية أخرى فالكلام يكون محدوداً يخرج من فم المتكلم ليحدث نفس الأثر الذي يريده المتكلم في المتلقى أو المستمع.

وقد يخرج الكلام عن السياق وعن المقضى المطلوب إلى أغراض ومعانٍ أخرى أو أن المتكلم يعنى أكثر مما ينطق به، وهذا ما يقصد به الفعل الإنجازي غير المباشر، " ويعد من الإشكاليات المركزية في تداولية أفعال الكلام، وجوهر هذه الإشكالية المسافة بين القول والمقصد وطبقات المعنى المتعددة بين معنى قسوى حرفي والفعل الذي ينجزه المتكلم في السياق، فالمتكلم لا يقول ما يعنيه في كل مناسبات المنطوق عن نحو مباشر"^(٤٩).

ويتضح مما ذكره علماءنا المحدثون في تحليلهم للأفعال الإنجازية غير المباشرة، أنها دائماً غير مقصورة على معنى واحد، فالمتكلم بهذا النوع من الأفعال يقول قولاً ويعنى شيئاً آخر ثم كيف يكون ممكناً أن يسمع المخاطب شيئاً له معنى ويفهم منه معنى آخر.

ولقد جعل الدكتور "محمد العبد" العرف اعتباراً تداولياً في كتابه (النص والخطاب والاتصال) وبناء على العرف الموجود في بيئة لغوية معينة سوف يحدد الفعل الكلامي ما إذا كان مباشراً أو غير مباشر، فالاستفهام مثلاً في قولنا : هل يمكنك أن تفتح الباب؟ قد يكون فعلاً كلامياً مباشراً للسؤال، وقد يكون أيضاً فعلاً كلامياً غير مباشر إذا اعتبرنا هذا الاستفهام طلباً لفتح الباب^(٥٠).

في المقابل نجد أن الدكتور "محمود نحلة" قد ذكر أيضاً بعض الضوابط للتمييز بين الأفعال المباشرة وغير المباشرة، وهذه الفروق هي

١/ " أن القوة الإنجازية للأفعال المباشرة تظل ملازمة لها في مختلف المقامات أما الأفعال الإنجازية غير الحرفية فموكولة إلى المقام لا تظهر قوتها الإنجازية إلا فيه"^(٥١).

وهذا أمر واضح لا نقاش فيه حيث إن الأفعال الإنجازية المباشرة تكون لها قوة إنجازية واحدة، لأنها لا تحتمل إلا معنى واحد، ولا تتغير بتغير السياقات المختلفة للكلام، وعلى العكس القوة الإنجازية للأفعال الغير مباشرة تتعدد بتعدد المقامات المختلفة التي يرد فيها هذا الفعل غير المباشر، فالقوة الإنجازية تتنوع نظراً لتنوع المعنى ذاته.

٢/ أن القوة الإنجازية للأفعال غير المباشرة يجوز أن تلغى، فإذا قال لك صاحبك أتذهب معي إلى المكتبة؟ قد تلغى القوة الإنجازية غير المباشرة، وهي الطلب ليقصر الفعل على قوته الإنجازية المباشرة، وهي الاستفهام.

وفى رأى الباحثة أن هذا الكلام معناه أنه لا يجوز أن يتحول الفعل الكلامي غير المباشر إلى فعل كلامي مباشر.

٣/ أن القوة الإنجازية غير المباشرة لا يتوصل إليها إلا عبر عمليات ذهنية استدلالية تتفاوت من حيث البساطة والتعقيد، أما القوة الإنجازية المباشرة فتؤخذ مباشرة من تركيب العبارة نفسها^(٥٢).

ولذلك فإن مقصد هذا الكلام أن الأفعال غير المباشرة تحتاج إلى إعمال العقل، كي يتدبر المتلقي المعنى الذي يقصده الملقى عليه، وليس شرطاً أن المعنى المقصود معقداً، ولكن المعاني

٤٨ - آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ٨٤.

٤٩ - النص والخطاب والاتصال، محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط٤٢٠١٤، ص ١.

ص ٢٩١، وينظر محمود نحله، ص٨٥.

٥٠ - المرجع السابق، ص ٢٩١، بتصريف.

٥١ - آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ٨٦ - ٨٧.

٥٢ - المرجع السابق، ص ٨٧.

تتنوع بين البساطة والتعقيد حسب الفعل نفسه، وعلى النقيض فإن الأفعال الكلامية المباشرة دلالاتها المباشرة لا تحتاج إلى تأويلات لأن المعنى فيها يكون جلياً. هذه تعد إنجازات الفيلسوف اللغوي سيرل في مجال الأفعال الكلامية فقد أضاف إليها الكثير، ومهد أيضاً لظهور مفهوم تداولي آخر، أصبح الآن يدرس بشكل مستقل في الدرس التداولي المعاصر، ألا وهو الاستلزام الحواري، والاستلزام الحواري عند سيرل هو مفهوم مرادف للأفعال الكلامية غير المباشرة، ومثال ذلك إذا طلب أحد من صديق له الحضور إليه في موعد ما، وكان رد صديقه عليه أن لديه امتحان في هذا الموعد الذي يرغب في أن يحضر له فيه، فالفعل المباشر هو الطلب أو الأمر والفعل غير المباشر هو الاعتذار.

المبحث الثالث الجانب التطبيقي في خطب عصر بني أمية السياسية.

خطبة معاوية بن أبي سفيان بالمدينة عام الجماعة^(٥٣)

١- الظروف السياسية العامة التي تولى فيها معاوية:

عندما قتل خليفة المسلمين الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه، وكان معاوية فى هذا الوقت والياً على الشام، فأرسلت زوجة عثمان (نائلة بنت الفرافصة) إلى معاوية كتاباً تسرد له فيه ما حدث وبعثت بقميص عثمان وعليه دمه، فقال ابن عباس لعلى رضى الله عنه: اكتب إلى معاوية فأقره على الشام، وأطعمه يكفك نفسه وناحيته، فإذا بايع لك الناس أقررتة أو عزلته، فقال على: إنه لا يرضى حتى أعطيه عهد الله وميثاقه أن لا أعزله، فكان معاوية فى هذا الحين يطيف بقميص عثمان فى أنحاء الشام ويحرضهم على الطلب بدمه، ورفض معاوية مبايعته، وقد أرسل على جريراً إلى معاوية، فكلمه وعظم عليه فأبى أن يبايع، وقام أهل الشام بمبايعة معاوية، وكان معاوية يبعث أعوانه، فيقتلون من كان فى طاعة على، أو من أعان على قتل عثمان، ثم بعد ذلك استشهد على رضى الله عنه^(٥٤).

ودخلت سنة أربعين وفيها بويح للحسن بن على عليه السلام بالخلافه، واستخلف أهل العراق الحسن بن على عليه السلام على الخلافه، وكان الحسن لا يريد القتال، ولكنه يريد أن يأخذ لنفسه ما استطاع من معاوية، وقد أشاع معاوية فى أهل الكوفة إن قيس بن سعد قُتل وتفرق الناس وانقضوا على الحسن وسرقوا متاعه وأمواله، وبايعوا معاوية، ودخلوا فى طاعته، ولما رأى الحسن تفرق الأمر عنه طلب الصلح من معاوية، أى أنه بعث إليه يطلب الصلح والأمان، ودخلت سنة إحدى وأربعين وقام الحسن بن على بتسليم الأمر إلى معاوية ودخل معاوية الكوفة^(٥٥). "وبايعه الحسن بن على، وسُمى عام الجماعة"^(٥٦).

٢- مضمون الخطبة والسياق العام لها:

"لقد أوصى الإمام الشهيد على بن أبى طالب ابنه الحسن بالخلافه، وخطب الحسن فى مسجد الكوفة، وبايعه أهل الكوفة والبصرة والمدائن والحجاز"^(٥٧). حينما علم معاوية بهذا الأمر، أن الحسن سيتولى الخلافه استنشيط غضباً، فقد كان يرى فى نفسه الخليفة الراشد الذى سيسير بين المسلمين كأبى بكر وعمر وعثمان، وأنه الوحيد الذى يستطيع الانتقام من قتلة عثمان بن عفان.

⁵³ - قد اعتمدت نص الخطبة من كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه ، للفقير محمد بن عبد ربه ⁵³

الأندلسي(٣٢٨) تحقيق/ مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٨٣. ج٢.

^{٥٤} - سير أعلام النبلاء، الإمام شمس الدين الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط ١١، ١٩٩٦، ص ١٣٦، ١٣٧.

^{٥٥} - تاريخ الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى، ج٥، دار المعارف، ط٢، ص

١٥٧، ١٥٩.

^{٥٦} - سير أعلام النبلاء، ص ١٣٧.

^{٥٧} -الكامل فى التاريخ، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى، المعروف بابن الأثير، ج٣، دار الكتب

العلمية بيروت - لبنان - ط١، ١٩٨٧، ص٢٧١

فحدثت فتنة بين المسلمين وانقسموا ما بين مؤيد للحسن وآخر مؤيد لمعاوية، ولما رأى الحسن رضى الله عنه وعن أبيه أن تنازله عن الخلافة لمعاوية فيه صلاح للمسلمين تنازل لمعاوية، وبذا يكون قد بدأ عهد الدولة الأموية، وكان ذلك فى سنة إحدى وأربعين للهجرة، وحينما تولى معاوية قدم إلى المدينة واستقبله نفر من قريش ودعوا له بالعزة وعلو المكانة، فلم يرد على أحد، وصعد المنبر وخطب فيهم وقال: إنه سلك لهم طرق النفع، وإن لم يكن أحسنهم خلقاً ودينياً، فهو أنفعهم لولاية أمورهم فلا يعتدي على أحد دون وجه حق، فيسالم من سالموه، ويحارب من حاربوه، ولا يحتاج من كلامهم إلا القول النافع، أما غير ذلك فلا يلقى له بالأى، ولا يهتم بكلام ليس فيه فائدة فسيعرض عنه كأنه لم يسمعه، ودعاهم إلى الصبر عليه، فإنه إن لم يستطع أخذ الحقوق لأصحابها جميعهم فلن يغفل عن حق بعضهم، وهو يعضد على كلامه بقوله "إن السيل إذا جاء يثرى وإن قل أغنى" فهو يشبه نفسه بالماء الذى يسقط من السماء فإذا كثرت حدث الثراء والنماء وكثر الخير وزاد النفع، وإذا قل الماء فإنه يجدى ويحدث الخير أيضاً، ففى كل الأحوال يجد أن فى ولايته نفع للأمة الإسلامية.

وبعدما أبدى معاوية محاسنه وسياسته الرشدة، أخذ يحذر المتلقين من الفتن؛ لأنها سبيل كل مفسدة، وتؤدى إلى ضيق فى الرزق وتؤدى إلى حياة مشوبة بالهموم والمصاعب والمتاعب.

٣- الأفعال الكلامية فى الخطبة:

الملقى للخطبة: معاوية بن أبى سفيان.

المتلقى: أهل يثرب من المسلمين.

مكان الخطبة: المدينة المنورة.

زمان الخطبة: سنة إحدى وأربعين للهجرة.

موضوع الخطبة: عن ولاية معاوية والسياسة التى يتبعها.

ورد فى المقام الذى يسبق الخطبة الأفعال الكلامية الآتية:

(الحمد لله الذى أعز نصرك):

- الفعل الكلامي: أعز نصرك: ويتضمن هذا الفعل ثلاثة أفعال كلامية.
- الفعل القولي: يتمثل فى الفعل أعز: وهو فعل ماض مبنى على الفتح، وفاعله مستتر تقديره (هو)، ونصرك مفعول به منصوب، الكاف: ضمير متصل فى محل جر مضاف إليه، أعز: أيد، والجذر اللغوى (ع - ز - ن).
- الفعل القسوى: وهو يتمثل فى فعلي الإحالة والحمل.
- الإحالة: وهو الإحالة بالضمير المستتر ويعود هذا الضمير على الله عز وجل.
- الحمل: ويتمثل فى الحمولة الدلالية لقضية الدعاء لله عز وجل بالحمد الذى أعز وأيد الله به خليفة المسلمين معاوية بن أبى سفيان.
- الفعل الإنجازي: يتمثل هذا الفعل الإنجازي فى الجملة الخبرية اللفظ الإنشائية المعنى (الحمد لله الذى أعز نصرك) ويستمد الفعل الكلامي قوته الإنجازية من الخبر الذى عدل عن معناه وخرج لمعنى الإنشاء، وهو التوجه لله عز وجل بالدعاء، وحمله تعالى أن أيد ونصر وأعز معاوية.

(أعلا كعبك):

- الفعل الكلامي: أعلا.
- الفعل القولي: متمثل فى لفظ أعلا: وهو فعل ماض مبنى على الفتح، الفاعل ضمير مستتر، كعبك: كعب: مفعول به منصوب، والكاف ضمير متصل مبنى فى محل جر مضاف إليه، أعلا: معناها المعجمي: رفع مكانك وشرفك، الجذر اللغوى: (ع - ل - و).
- ويحمل المعنى القولي الظاهر معنى (المنزلة الرفيعة وسمو مكانته ورفعة شأنه).
- الفعل القسوى: فعل الإحالة: وهو الإحالة بالضمير المستتر وتقديره (هو) ويعود هذا الضمير على الذات الإلهية.
- فعل الحمل: ويتمثل فى الحمولة الدلالية لقضية رفعة الله عز وجل لمكانة معاوية.

- الفعل الإنجازى: يتمثل هذا الفعل فى الجملة الخبرية (أعلا كعبك)، ويستمد هذا الفعل قوته الإنجازية من خروج الخبر عن معناه إلى معنى الإنشاء، وهو الدعاء لله عز وجل بعلو مكانه معاوية.
- (فانى والله ما وليتها بمحبة علمتها منكم، ولا مسرة بولايتى، ولكنى جالدتكم بسيفى هذا مجالدة):
- الفعل الكلامى: ما وليتها.
- الفعل القولى: يتمثل هذا الفعل فى الجملة الفعلية المنفية، ولى: فعل ماضى مبنى على السكون لاتصاله بتاء الفاعل، تاء الفاعل ضمير متصل مبنى فى محل رفع فاعل، والهاء ضمير متصل مبنى فى محل نصب مفعول، وليتها: أى ولايته لأمر المسلمين، الجذر اللغوى: (و - ل - ي).
- الفعل القضى: فعل الإحالة: وهو الإحالة فى الكلمات الآتية:
فانى: الإحالة بالضمير المتصل (ياء المتكلم) ويعود على معاوية.
وليها: الإحالة (بالتاء) وتعود على معاوية، والإحالة (بالهاء) وتعود على الخلافة.
علمتها: الإحالة (بالتاء) وتعود على معاوية، والإحالة بالهاء وتعود على كلمة المحبة منكم: الإحالة بالضمير المتصل وتعود على جمهور المتلقين.
بولايتى: الإحالة بضمير المتكلم وتعود على معاوية.
- فعل الحمل: وهو يتمثل فى الحموله الدلالية لقضية يقين معاوية أن المسلمين من أهل المدينة لم يبايعوه بالولاية عن حب وفرح وسرور بولايته بل هو من حارب إلى أن وصل إلى هذه المكانة.
- الفعل الإنجازى: ويتمثل هذا الفعل فى الجملة الخبرية (فانى والله ما وليتها بمحبة...)، ويستمد هذا الفعل الكلامى قوته الإنجازية من الخبر المؤكد بإن والقسم، وهذا الخبر الصادق يؤكد ما حدث من وقائع وأحداث قبل توليه خلافة المسلمين، فلم يبايعه المسلمون من ذوات أنفسهم، ولكن ما دفعهم إلى مبايعته إشهارة سيفه وأخذه لهم بالقوة، فهى جملة خبرية إنكارية مؤكدة بأكثر من أداة التوكيد (إن)، والقسم بلفظ الجلالة فهو بذلك يؤكد تمام التأكيد للمتلقين أن أمر الخلافة جاء بالكذب والحرب وليس بالمحبة التى تظهرونها.
- (ولكنى جالدتكم بسيفى هذا مجالدة).
- الفعل الكلامى: جالدتكم.
- الفعل القولى: متمثل فى الجملة الفعلية وما تحمله من معنى أولى ظاهر والفعل جالد: فعل ماض مبنى على السكون لاتصاله بتاء الفاعل، تاء الفاعل ضمير متصل مبنى فى محل رفع فاعل، والضمير المتصل مبنى فى محل جر مضاف إليه. جالدتكم أى حاربتم بشدة وقوة، الجذر (ج - ل - د).
- الفعل القضى: يتمثل فى فعل الإحالة، وهو الإحالة بالضمائر فى الكلمات الآتية:
لكنى: الإحالة بالضمير المتصل (ياء المتكلم) ويحيل إلى المتكلم نفسه (معاوية).
جالدتكم: الإحالة بالضمير المتصل (كم) ويحيل إلى المتلقين (أهل المدينة)، وكذلك الإحالة بالضمير المتصل (تاء الفاعل) وتحيل إلى المتكلم (معاوية).
بسيفى: الإحالة بالضمير المتصل (ياء المتكلم) ويحيل إلى المتكلم (معاوية).
- الفعل الإنجازى: يتمثل هذا الفعل فى الجملة الخبرية (ولكنى جالدتكم بسيفى هذا مجالدة)، ويستمد هذا الفعل قوته الإنجازية من خروج الخبر الذى يستدرك فيه ما سبق كى يرفع الوهم عن أهل المدينة بأنهم لم يبايعوه عن محبة وقناعة، بل هو الذى وصل إلى الخلافة بسيفه والتعبير بالمفعول المطلق يدل على التأكيد.
- (ولقد رضت لكم نفسى عن عمل ابن قحافة)
- الفعل الكلامى: (رضت).

- الفعل القولى: رضت: فعل ماض مبنى على السكون، وتاء الفاعل ضمير متصل مبنى فى محل رفع فاعل، رضت أخضعت - ذللت، الجذر (ر - و - ض).
- الفعل القضى: ويتمثل فى الإحالة فى الكلمات الآتية:
رضت: الإحالة بتاء الفاعل على معاوية.
لكم: الإحالة (بكم) على المتقين (أهل المدينة).
نفسى: ياء المتكلم تحيل إلى معاوية.
- الحمل: تتمثل فى الحمولة الدلالية لقضية خضوع معاوية وتذليله نفسه للمسلمين كما كان يفعل خليفة المسلمين وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق.
- الفعل الإنجازى: يتمثل هذا الفعل فى الجملة الخبرية (ولقد رضت لكم نفس...) ويستمد هذا الفعل قوته الإنجازية من الخبر المؤكد باللام وقد، فهو ذل نفسه لهم واتخذ من خليفة المسلمين الأول قدوة فى معاملته للمسلمين، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على لين الجانب والسهولة واليسر، فهذا خلق الصديق أبى بكر رضى الله عنه وتأكيد الفعل الماضى بأكثر من أداة إنما يدل على صدق الرجل ومدى استعداده، وتأهيله نفسه كى يكون هو الإمام وخليفة المسلمين.
(وأردتها على عمل عمر فنفرت من ذلك نفاً شديداً):
- الفعل الكلامى: أردتها.
- الفعل القولى: يتمثل فى الجملة الفعلية المكونة من فعل وفاعل ومفعول ومكملات الجملة من جار ومجرور، والمقصود أردتها: أخضعت نفسى أن تشير فى الناس بحكم عمر بن الخطاب.
- الجذر اللغوى: (ر - و - د).
- الفعل القضى ويتمثل فى فعل الإحالة، وهو الإحالة بالضمائر فى الكلمات الآتية:
أردتها: الإحالة (بالتاء) على المتكلم وهو معاوية، وكذلك الإحالة بالـ (الهاء) وتعود على كلمة (نفس).
- فنفرت: الإحالة بالضمير المستتر وتقديره (هى) والإحالة على نفس معاوية.
- الحمل: يتمثل فى الحمولة الدلالية لقضية انتهاج نهج الخليفة عمر بن الخطاب وإرهاق معاوية نفسه باتباع منهج عمر فى الخلافة.
- الفعل الإنجازى: يتجسد هذا الفعل فى الجملة الخبرية (وأردتها على عمل عمر فنفرت من ذلك نفاً..) ويستمد هذا الفعل قوته الإنجازية من الخبر الذى يحمل معنى المشقة وإرهاق النفس بما لا تطيق، فحينما أراد أن يسير بين المسلمين بمنهج الإمام والخليفة العادل عمر بن الخطاب رأى النفس قد نفرت من ذلك وذلك، لأن أحوال المسلمين تبدلت عن الحال التى كانت عليه زمن عمر بن الخطاب.
- (وأردتها على سنيات عثمان فأبى على، فسلكت بها طريقاً لى ولكم فيه منفعة مؤكلة حسنة ومشاركة جميلة):
- الأفعال الكلامية فى هذا المقام: أردتها - أبى - سلكت.
- الفعل القولى: أردتها: (جاء تحليلها فى الصفحة السابقة).
- أبى: فعل ماضى مبنى على الفتح، والفاعل مستتر تقديره (هى).
- معنى (أبى): رفضت - امتنعت، الجذر اللغوى (أ - ب - ي).
- سلكت: فعل ماض مبنى على السكون، تاء الفاعل ضمير متصل مبنى فى محل رفع فاعل.
- سلكت: انتهجت طريقاً، الجذر اللغوى (س - ل - ك).
- الفعل القضى: فعل الإحالة: ويتمثل فى الإحالة على:
أردتها: التاء: تحيل إلى معاوية، الهاء: تحيل إلى النفس.

أبت: الإحالة بالضمير المستتر وتقديره (هى) على النفس.

فسلكت: الإحالة بالتاء إلى المتكلم (معاوية).

بها: الإحالة بالهاء على النفس.

لى: ياء المتكلم تحيل إلى المتكلم وهو (معاوية).

لكم: الإحالة بالضمير المتصل على أهل المدينة من المسلمين.

- الحمل: يتمثل فى الحمولة الدلالية لقضية رفض معاوية سنة عثمان بن عفان فى الخلافة وابتداعه لسنة جديدة فيها إرضاء للطرفين معاوية نفسه ومن يحكمهم من المسلمين، فهذا المنهج الجديد فيه نفع له وللمسلمين.

- الفعل الإنجازى: يتجسد هذا الفعل الكلامى فى الجملة الخبرية (وأردتها على سنينات...) ويستمد هذا الفعل قوته الإنجازية التى يسرد فيه للمتلقين الجهد الذى بذله وعاناه من أجلهم، ومن أجل إرضائهم، فسلك مسلك الخفاء الراشدين أبى بكر وعمر وعثمان فوجد أن فى ذلك مشقة كبيرة عليه، فانتهج نهجاً جديداً وطريقاً لم يسبقه إليه غيره، ورأى أن فى ذلك النفع والصلاح له وللأمة الإسلاميه التى سيحكمها ومن الملاحظ أن معاوية لم يذكر الخليفة الرابع (على بن أبى طالب) وذلك لكونه أنه غير مقتنع ولا راض عن ولايته منذ البداية، فكان معاوية يرى أنه أحق بولاية أمور المسلمين بعد مقتل عثمان.

(فإن لم تجدونى خيركم فإنى خير لكم ولاية):

- الفعل الكلامى: لم تجدونى.

- الفعل القولى: يتمثل هذا الفعل فى الجملة الفعلية (تجدونى)، والفعل (تجدوا) فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه حذف النون، واو الجماعة: ضمير متصل مبنى فى محل رفع فاعل، وياء المتكلم ضمير متصل مبنى فى محل نصب مفعول به، لم تجدونى: لم ترونى الأفضل والأحسن، الجذر اللغوى (و - ج - د).

- الفعل القضى: يتمثل فى فعل (الإحالة) وهو الإحالة بالضمائر فى الكلمات الآتية: تجدونى: الإحالة بواو الجماعة، وتعود على أهل المدينة، والإحالة بياء المتكلم على معاوية.

خيركم: الإحالة بالضمير المتصل (كم) على أهل المدينة.

فإنى: الإحالة بياء المتكلم على معاوية.

لكم: الإحالة بالضمير المتصل على أهل المدينة.

- الحمل: يتمثل فى الحمولة الدلالية لقضية اقتناع معاوية بأنه لن يفضله أحد فى الولاية، فإن لم يكن الأفضل فى كل شيء فحسبه أنه الأفضل والأفجع لخلافة المسلمين.

- الفعل الإنجازى: يتجسد هذا الفعل فى الجملة الخبرية (فإن لم تجدونى...) ويستمد هذا الفعل الكلامى قوته الإنجازية من أسلوب الشرط باستخدام أداة الشرط (إن) وجاءت جملة فعل الشرط منفية فمعاوية ينفث عن نفسه أن يكون أفضل من فى المسلمين فى أمور كثيرة كالأمور الدينية والخلقية والدينية، وجاء فى جملة جواب الشرط، وهى جملة إسمية مؤكدة بان، ومعنى ذلك أنه يريد أن يؤكد لجمهور الحضور والمتلقين له أنه أحق بالبيعة والولاية والخلافة لأنه أفضل من يستحق هذه المكانة، وهنا فى هذا السياق إعجاب وفخر من معاوية بنفسه، وفى هذا الموضوع تحديداً تتجلى قدرة المتكلم وإقناعه من حوله إنه شخص حاكم يستطيع أن يتولى مقاليد حكم المسلمين، وإدارة شئون الدولة الإسلامية.

(والله لا أحمل السيف على من لا سيف له)

- الفعل الكلامى: لا أحمل.

- الفعل القولى: أحمل فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة، السيف مفعول به، الفاعل ضمير مستتر تقديره أنا، معنى لا أحمل السيف: لا أعتدى على أحد ليس معه

- سلاح، والنفي يفيد هنا نفي حمل السلاح على الشخص المسالم، الجذر اللغوي (ح - م - ل).
- الفعل القضوي: يتمثل في فعل (الإحالة) وهو الإحالة بالضمائر في الكلمات الآتية:
أحمل: الإحالة بالضمير المستتر وتقديره (أنا) ويعود على معاوية.
 - له: الإحالة بالضمير المتصل (الهاء) وتعود على الشخص الذي لا يحمل السلاح.
 - الحمل: يتمثل فعل الحمل في الحمولة الدلالية لقسم معاوية وتأكيد عدم الإعتداء على غير المعتدين فهو يسالم من سالمه.
 - الفعل الإنجازي: يقع هذا الفعل الكلامي في الجملة الخبرية (والله لا أحمل السيف...)، يستمد هذا الفعل الكلامي قوته الإنجازية من الخبر المؤكد بالقسم وهذا الخبر يحمل معنى ظاهر، وآخر عميق، أما المعنى الظاهر: فهو تأكيد وقسمه للمخاطبين أنه لا يمكن حمل السلاح على العزل المسلمين، والمعنى الخفي المستنتج من هذا الفعل هو (التهديد والتخويف) فمعاوية يندد من ينوي حمل السلاح والإعتداء فسيكون جزاؤه بالمثل.
- (وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفى به القائل، فقد جعلت ذلك دبر أذنى وتحت قدمي):
- الأفعال الكلامية: يستشفى - جعلت.
 - الفعل القولي: يستشفى: فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة، الفاعل: القائل، معنى يستشفى به القائل: أي ما يقوله من كلم طيب، الجذر اللغوي (ش - ف - ي).
 - الفعل الكلامي (جعلت): جعل: فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بتاء الفاعل، تاء الفاعل ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل، والمقصود إنني لا أهتم بالكلام السيء المحبط
 - الجذر اللغوي: (ج - ع - ل).
 - الفعل القضوي: يتمثل في الإحالة وتقع في الكلمات الآتية:
منكم: كم ضمير متصل يحيل على أهل الكوفة.
 - يستشفى: الإحالة بالاسم الظاهر وهي كلمة (القائل).
 - جعلت: تاء الفاعل تحيل إلى المتكلم (معاوية).
 - أذنى: ياء المتكلم تحيل إلى المتكلم (معاوية) وكذلك كلمة (قدمي).
 - فعل الحمل: يتمثل في الحمولة الدلالية لقضية ترك الكلام غير المجدي، فمعاوية إن لم يسمع ممن هم على عهده وطاعته الكلام الحسن الطيب النافع، فلا يهتم لغير هذا الكلام.
 - الفعل الإنجازي: امتثل هذا الفعل الكلامي في الجملة الخبرية (وإن لم يكن منكم...) ويستمد هذا الفعل الكلامي قوته الإنجازي من معنى مباشر جاء هذا المعنى في أسلوب الشرط وأسلوب القصر بالنفي والاستثناء، والقصر من مؤكدات الجمل، وجاء فعل الشرط منفياً، وهذا معناه أن معاوية أمير المؤمنين لا يريد من الكلام إلا ما تطيب به النفوس، أما المعنى غير المباشر فهو تحذير أهل المدينة من كثرة الكلام الذي لا يجدي ولا يثمر، فإن خليفة المسلمين لا يلقى لهذا الكلام بالأ، ويكون سبباً في هلاك من قاله.
 - (فإن لم تجدوني أقوم بحقكم كله، فاقبلوا مني بعضه).
 - الفعل الكلامي: لم تجدوني - فاقبلوا.
 - الفعل الكلامي: تجدوني: فعل مضارع مجزوم بحذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، وواو الجماعة ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل، وياء المتكلم ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به، تجدوني أقوم بحقكم: أخذ لكم الحق، الجذر: (و - ج - د).
 - فاقبلوا: فعل أمر مبني على حذف النون، وواو الجماعة ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل، اقبلوا: تقبلوه ولا تتضجروا، الجذر: (ق - ب - ل).
 - الفعل القضوي: يتمثل في فعل الإحالة في الكلمات الآتية:
تجدوني: الإحالة بواو الجماعة على أهل المدينة، والإحالة بياء المتكلم على (معاوية).

بحقكم: الضمير المتصل (كم) يحيل إلى أهل المدينة.

كله: الهاء الإحالة بها على (الحق).

اقبلوا: بواو الجماعة على (أهل المدينة).

بعضه: الإحالة بالهاء على (الحق).

- الحمل: يتمثل في الحمولة الدلالية لقضية تقبل المسلمين أخذ معاوية الحقوق كبيرها وصغيرها، كلها أو بعضها، فإن لم يستطع أخذ الحق لكافة الناس، فلن يقصر عن أخذ الحق لبعضهم من المستضعفين.

- الفعل الإنجازي: يتمثل الفعل الإنجازي في جملة الشرط (وإن لم تجدوني أقوم بحقكم..). وهذا الفعل يستمد قوته الإنجازية من جملة الشرط، جملة فعل، وجملة جواب الشرط، فجملة فعل الشرط جاء الفعل فيها منفيًا (لم تجدوني) ومعنى ذلك أنه ينفي عن نفسه استطاعته القيام بكامل حقوق القوم، ثم تأتي جملة جواب الشرط، وهي جملة إنشائية نوعها أمر، والأمر هنا من معاوية إلى أهل المدينة أي من الحاكم إلى المحكومين من الأعلى للأدنى ولكن عدل الأمر وخرج عن معناه الأصلي وهو الإلزام، إلى معنى آخر وهو الالتماس، فهو يريد منهم تقبل سياسته ومساعدته حتى يقوم على كل الأمور التي ستواجهه فهو الذي بدأ عهد جديد للدولة الإسلامية، ويريد أن يخرج من مرحلة الضعف والفتن والفساد التي تمر بها بلاد المسلمين إلى مرحلة توطيد دعائم الدولة واستقرارها.

(إياكم والفتنة):

- الفعل الكلامى: هو فعل كلامى مقدر (أحذركم) ولكنه محذوف ويفهم من السياق.

- الفعل القولى: إياكم والفتنة: إياكم مفعول به لفعل محذوف تقديره احذروا، والواو حرف عطف، الفتنة: مفعول به لفعل محذوف تقديره احذروا (أحذركم).

- الفعل القسوى: المتمثل في فعل الإحالة، وهو الإحالة بالضمير المستتر وتقديره (أنتم)، والمقصود به (أهل المدينة).

- أما فعل الحمل: فيتمثل في الحمولة الدلالية لقضية التحذير.

- الفعل الإنجازي: يتمثل هذا الفعل في الجملة الإنشائية (إياكم والفتنة)، ويستمد هذا الفعل الكلامى قوته الإنجازية من الإنشاء الصريح وهو الأمر، فإنه يلزمهم ويحذرهم من إتباع الفتن، فالله عز وجل حذرنا منها في مواضع كثيرة في كتابه العزيز فقال عز من قائل: (والفتنة أشد من القتل)، ففي هذا الأمر تحذير باللفظ الصريح (إياكم) فهو يريد من المسلمين عدم الخوض والسير وراء الفتن لأنها لا تجلب إلا شراً، وتفسد على الناس أحوالهم ومعيشتهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

(فإنها تفسد المعيشة وتكدر النعمة)

- الفعل الكلامى: تفسد - تكدر.

- الفعل القولى: تفسد: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه بالضمة، الفاعل ضمير مستتر تقديره هي، معنى فساد المعيشة أي أنها يصيبها الخلل ويصبح فيها من الفساد والخراب ما يكدر على الناس حياتهم ومعيشتهم - الجذر اللغوى (ف - س - د).

تكدر: فعل مضارع مرفوع، الفاعل ضمير مستتر تقديره هي، النعمة: مفعول به منصوب، معنى تكدر: تفسد وتكون الحياة منغصة، ويصاب الناس بالهم والحزن.

- الفعل القسوى: ويتمثل في الإحالة بالكلمات الآتية:

فإنها: الضمير المتصل (الهاء) يحيل على الفتن.

تفسد: الضمير المستتر وتقديره (هي) يحيل على الفتن وكذلك الضمير المستتر في الفعل.

تكدر: يحيل على الفتن.

- الفعل الحملى: يتمثل في الحمولة الدلالية لقضية تحذير أمير المؤمنين معاوية أهل المدينة من تجنب الفتن لأن مصائبها فساد الحياة، فثمار هذه الفتن لا يكون إلا دماراً وفساداً للنفوس أولاً وللمجتمع.

- الفعل الإنجازي: يتجسد هذا الفعل في الجملة الخبرية، ويستمد هذا الخبر قوته الإنجازيه من الخبر المؤكد بأن، فالمتلقون لا بد وأنهم على علم بما تحدثه الفتن والثمار التي تجنيها فيؤكد عليهم والى أمورهم وخليفتهم أن صدى هذه الفتن لا يكون إلا عواقب جسيمة فتذهب بالنعم وتمحوها وتعكر صفو الحياة.

الخاتمة

تعد الأفعال الكلامية من المفاهيم التداولية التي تحتل موقعا متميزا، وتعد هي الأساس الذي تقوم عليها التداوليات، ولقد وعي علماء التراث العربي بمفهوم الأفعال الكلامية، وضمنوها أبحاثهم، ولكنهم لم يفرّدوا لها دراسات مستقلة، وإنما تشابهت قضايا الخبر والإنشاء مع مفهوم الأفعال الكلامية، من حيث مراعاة أحوال المتكلمين، كالملقي والمتلقي، والسياق، وقرائن الأحوال، وأن الكلام قد يخرج عن ظاهر لفظه ويتضمن معاني أخرى، والأفعال الكلامية لم تعرف بهذا المصطلح إلا حديثا على يد الفيلسوف اللغوي (جون أوستين) وكانت هذه هي مرحلة التأسيس والنشأة، ثم تلتها مرحلة النضج والاكتمال على يد (جون سيرل)، ولقد قمت بتطبيق مفهوم الأفعال الكلامية على خطبة لمعاوية بن أبي سفيان، فبدى ثراء هذا النص وتكشفت المعاني، عندما طبقت هذا المفهوم الحديث في قراء النص، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها غير هذا البحث :

- إدراك العلماء العرب للمفاهيم والنظريات الحديثة، ولكنهم لم يفرّدوا لها مباحث مستقلة.
- لم تعرف الأفعال الكلامية بمسماها هذا إلا حديثا.
- يعد رائد الأفعال الكلامية هو (جون أوستن)، ولكن من قام على تطوير النظرية إلى أن أخذت هذا الشكل المكتمل هو الفيلسوف (جون سيرل).
- إن تطبيق هذا المفهوم الحديث على نص من نصوص التراث العربي ألبسها ثوبا جديدا وكشف لنا عن الكثير من المعاني .

ثبت بالمصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢.
- ٣- الاستلزام الحوارى في التداول اللسانى من الوعى بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، العياشى أدرأوى، دار الأمان، الرباط، ط ١، ٢٠١١.
- ٤- تاريخ الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى، ج ٥، دار المعارف، ط ٢.
- ٥- التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث العربى، مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت- لبنان، ط ١، ٢٠٠٥.
- ٦- التداولية اليوم علم جديد في التواصل، أن ريبولو جالك موشلار، ترجمة د/ سيف الدين دغفوس وآخرون، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ٢٠٠٣، ط ١.
- ٧- تفسير القرآن العظيم، للحافظ أبى الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق/ سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٩٩٩، الأجزاء: الأول والثالث والسابع.

- ٨- سير أعلام النبلاء، الإمام شمس الدين الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط ١١، ١٩٩٦، ص ١٣٦، ١١٥ تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ج ٥، دار المعارف، ط ٢.
- ٩- الصاحبى فى فقه اللغة العربية ومساائلها وسنن العرب فى كلامها، للإمام أبى الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، علق عليه/ أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ١٩٩٧.
- ١٠- العقد الفريد، للفقير محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨) تحقيق/ مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ١٩٨٣. ج ٢.
- ١١- علم المعانى، د/ عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، ط ١، ٢٠٠٩.
- ١٢- فى البرجماتية: الأفعال الإنجازية فى العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، علي محمود حجي الصراف، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٠، ط ١.
- ١٣- الكامل فى التاريخ، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير، ج ٣، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
- ١٤- مفتاح العلوم، للإمام سراج الملة والدين أبى يعقوب يوسف بن أبى بكر محمد بن علي السكاكي، ت (٦٢٦)، ضيظ هوامشه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ٢، ١٩٨٧.
- ١٥- المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، تر/ سعيد علوش، مركز الإنماء القومي.
- ١٦- النص والخطاب والاتصال، محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط ١، ٢٠١٤.
- ١٧- نظرية أفعال الكلام بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، طالب سيد هاشم الطبطبائي، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٤.
- ١٨- نظرية أفعال الكلام العامة، أوستين، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق.